

الغربية في الثورة (وفي النكوص عنها). ويجب أن تتفاعل مع هذه التجربة دون أن نضطر إلى تسمية «الانتفاضة» (بما تحمل من معاني الاستمرار وعدم الانقطاع) «ثورة» (بما تحمل من معاني الانقطاع والبدايات الجديدة). نفعل ذلك دون أن نفصل الانتفاضة عن التراث الثوري العالمي، الذي لا تشكل التجربة الغربية فيه سوى جزء من كل.

إن الثورة انقطاع، أما الانتفاضة فعودة إلى ما سبق واسترجاع الهوية التي سلبت حتى تصبح «إسرائيل» مرة أخرى «فلسطين» كما كانت دائماً عبر التاريخ، وكما ستكون بإذن الله في المستقبل. ولا يمكننا أن ننسب إلى شباب الانتفاضة الذين اختاروا المصطلح معرفة بكل هذا وإدراكاً واعياً له. ولكن لا يمكن أيضاً أن ننكر إحساسهم الحضاري الفطري السليم بلحظتهم التاريخية، أو ارتباطهم المباشر بترائهم، أو إعراضهم النفسي والمعرفي عن النموذج الهرمي الغربي. فقد أثروا أن يحملوا عَلم الانتفاضة بكل مدلولات الكلمة العميقة الدالة، والتي لا نظير لها في اللغات الأوربية (ومن هنا يكتبون في الصحف الغربية كلمة «انتفاضة» بحروف لاتينية مما ينم عن إدراكهم خصوصيتها). إن المناضلين الفلسطينيين في اختيارهم كلمة «انتفاضة» قد وضعوا أيديهم على واحدة من أهم خصائص تحركهم التاريخي المبارك: وهو أنه تحرك يتم داخل إطار الهوية التي تمتد من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل بإذن الله.

ومن الصور المجازية الأساسية في الانتفاضة «الحجر». ولكن كيف يمكن أن نقول: إن إلقاء الحجارة صورة مجازية؟ أليس إلقاء الحجارة حقيقة مادية؟ ولأوضح معنى ما أقول فإنه يجب أن أشير إلى أن هذا الشيء المستدير المستقر على الأرض الذي يسمّى «الحجر» هو شيء مادي مصمت، دال دون مدلول، إن أردنا استخدام لغة التفكيكيين، أو دال محدود الدلالة، منغلَق على نفسه، إن أردنا توخي الدقة في التعبير. وواقعة أن إنساناً ما يلتقط هذا الحجر ويلقي به على رأس آخر هي أيضاً مجرد واقعة مادية، دال دون مدلول أيضاً، أو دال محدود الدلالة.